

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ٤٧ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ

سميت به ، لما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقاً ، أعظم من الإيمان بما نزل مجموعاً على سائر الأنبياء عليهم السلام . وهو من أعظم مقاصد القرآن . وتسمى سورة (القتال) ، لدالاتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم ، وما يترتب على انقتال وكثرة فوائده - قاله المهاييمى - .

وهي مدنية . وحكى النسفي قولاً غريباً ، أنها مكية . وآيها ثمان وثلاثون .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

[١] (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ)

«الَّذِينَ كَفَرُوا» أى: جحدوا توحيد الله، وعبدوا غيره «وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى: أعرضوا وامتنعوا عن الإقرار لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة. أو صدوا غيرهم عن ذلك. «أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ» أى جعلها على غير هدى وارشاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

[٢] (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ

مِّن رَّبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات فيما بينهم وبين ربهم .

وقوله «وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ» أى بما أنزل الله به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم . وإنما خصه بالذكر ، مع دخوله فيما قبله ، تعظيماً لشأنه وتعلماً ، لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به ، إذ يفيد بمطغه أنه أعظم أركانه ، لإفراده بالذكر . وقد تأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التى هى قوله «وَهُوَ الْحَقُّ مِّن رَّبِّهِمْ» أى الثابت بالواقع ونفس الأمر . «كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ، ما كان منهم من الكفر والمعاصى ، لرجوعهم عنها وتوبتهم «وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» أى حالهم وشأنهم ، وعملهم فى الدنيا بالتأييد والتوفيق . قال الشهاب : (البال) يكون بمعنى الحال والشأن . وقد يخص بالشأن العظيم ، كقوله ﷺ (١) (كل أمر ذى بال) . ويكون بمعنى الخاطر القلبي ، ويتجاوز به عن القلب . ولو فسره

(١) أخرجه ابن ماجه فى : ٩ - كتاب النكاح ، ١٩ - باب خطبة النكاح ، حديث

١٨٩٤ (طبعتنا) .

هنا كان حسناً أيضاً . وقد فسره السفاقي بالفكر ، لأنه إذا صلح قلبه وفكره ، صلحت عقيدته وأعماله .

وقال ابن جرير<sup>(١)</sup> : البال كالمصدر ، مثل الشأن ، لا يعرف منه فعل ، ولا تكاد العرب تجمعه إلا في ضرورة شعر ، فإذا جمعه قالوا : ( بالات ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] ( ذَلِكَ بَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ )

« ذَلِكَ » أى المذكور من فعله تعالى بالفريقين مافعله كأن « بَانَ الَّذِينَ » أى بسبب أن الذين « كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ » أى يشبه لهم الأشباه ، فيلحق بكل قوم من الأمثال أشكالا . قال الزمخشري : فإن قلت : أين ضرب الأمثال ؟ قلت : فى أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار . واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين . أوفى أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار ، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] ( فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ قِوَامًا مِّنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ )

« فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ » لما كان طليعة هذه السورة تمهيداً لجهاد المشركين الساعين فى الأرض بالفساد ، الصادين عن منهج الرشاد ، وبعثاً على الصدق

(١) انظر الصفحة رقم ٣٩ من الجزء السادس والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

في قتالهم ، كسحاً لعقبة باطلهم ، عملاً بما يوجبه الإيمان ويفرضه الإيقان ، وتميزاً لأولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، تأثر تلك الطليعة بهذه الجملة. ولذا قال أبو السعود: الفاء لترتيب مافي حيزها من الأمر على ما قبلها. فإن ضلال أعمال الكفرة وخبثهم ، وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم ، مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الأحكام. أى : فإذا كان الأمر كما ذكر ، فإذا لقيتموهم في الحاربة ، فضرب الرقاب. وأصله: فاضربوا الرقاب ضرباً. فحذف الفعل، وقدم المصدر ، وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول . وفيه اختصار وتأكيدي بليغ . والتعبير به عن القتل ، تصوير له بأشنع صورة ، وتهويل لأمره ، وإرشاد للغزاة إلى أيسر ما يكون منه « حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخَفْتُمُوهُمْ » أى غلبتموهم ، وقهرتم من لم تضربوا رقبتهم منهم ، فصاروا في أيديكم أسرى « فَشُدُّوا الْوَتَاقَ » بفتح الواو ، وقرىء بكسرهما . وهو ما يوثق به ، أى يربط ويشد ، كالقيد والحيل . أى فأمسكوهم به كيلاً يقتلوكم فيهربوا منكم « فَأَمَّا مَنَّمَا بَعُدَ وَإِمَّا فِدَاءٌ » أى فإما تمنون بعد ذلك عليهم ، فتطلقونهم بغير عوض ، لزوال سبعميتهم ، وإما تفدون فداءً ، فتطلقونهم بعوض مال ، أو مسلم أسروه فيتقوى به المسلمون ، أو يتخلص أسيرهم .

قال المهايى : ولم يذكر القتل اكتفاء بما مر من قوله (١) ( مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَاسْرَى حَتَّىٰ يُبْخِنَ فِي الْأَرْضِ ) وذلك فيمن يرى فيه الإمام بقاء السبعية بالكمال . ولم يذكر الاسترقاق ، لأنه في معنى استدامة الأسر ، وذلك فيمن يرى فيه نوع سبعية . ولا تزالوا كذلك « حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » أى : إلى انقضاء الحرب و(الأوزار) كالأحمال وزناً ومعنى . استعير لآلات الحرب التي لا تقوم إلا بها ، استعارة تصريحية أو مكنية ، بتشبيهها بإنسان يحمل حملاً على رأسه أو ظهره ، وأثبت له ذلك تحميلاً . وقد جاء ذكرها في قول الأعشى (٢) :

وأعددت للحرب أوزارها : رمحاً طويلاً وخيلاً ذكوراً

(١) [ ٨ / الأتقال / ٦٧ ] . (٢) البيت الرابع والأربعون من قصيدته التي مطلعها:

عَشِيَتْ لِلْيَمِيِّ لِلْيَمِيِّ خُدُورًا      وَطَالَبَتْهَا وَنَدَرَتِ النَّدُورًا

يدح بها هوزة بن على الحنفي .

وقيل : أوزارها آتامها . يعني : حتى يترك أهل الحرب - وهم الشركون - شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا .

### تنبهات :

الأول - قال في ( الإكليل ) : في الآية بيان كيفية الجهاد .

الثاني - للسلف قولان في أن الآية : منسوخة أو محكمة .

فروى عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي أنها منسوخة بقوله تعالى (١) ( فَأِذَا  
أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) قالوا : فلم يبق لأحد من  
المشركين عهد ولاذمة بعد براءة ، وانسلاخ الأشهر الحرم .

وروى عن ابن عمرو وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز ، أن الآية محكمة ليست بمنسوخة ،  
وأنة لا يجوز قتل الأسير ، وإنما له المن أو الفداء .

ووجه من ذهب إلى الأول تعارض الآيتين عنده باديء بدء ، فلم يبق إلا القول بإحداها  
وهي المطلقة .

ومدرك الثاني أن الأمر بقتلهم المجمع في آيات ، محمول على الفصل في مثل هذه الآية .  
أى إن القتل عند اللقاء ، ثم بعد انقضاء الحرب المن أو الفداء لا غير ، إلا أن تبدو  
مصالحة في القتل ، فتلك من باب آخر .

وتم قول ثالث : وهو كون الآية محكمة مع تفويض الأمر إلى الإمام ، وأن ذكر المن  
والفداء لا ينافي جواز القتل ، لعله من آيات آخر ، لاسيما ومرجع الأمر إلى المصلحة . وهذا  
القول هو الذي أختره . وإذا دار الأمر في الآي بين الإحكام والنسخ ، فالأول هو المرجح .  
وقد لا يتعارض قول من قال بالنسخ مع الذهاب إلى الإحكام ، لما قدمناه في مقدمة التفسير ،  
من تباير اصطلاح السلف والأصوليين في النسخ .

(١) [ ٩ / التوبة / ٥ ] .

ثم رأيت ابن جرير <sup>(١)</sup> سبقني في ترجيح ذلك ، وعبارته :  
 والصواب من القول عندنا في ذلك ، أن هذه الآية محكمة غير منسوخة . وذلك أن صفة  
 الناسخ والمنسوخ ، أنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة ، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ  
 الآخر . وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المن والفداء والقتل إلى الرسول ﷺ ، وإلى  
 القائمين بعده بأمر الأمة ، وإن لم يكن القتل مذكوراً في هذه الآية ، لأنه قد أذن بقتلهم في  
 آية أخرى ، وذلك قوله تعالى <sup>(٢)</sup> ( فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) الآية . بل  
 ذلك كذلك ، لأن رسول الله ﷺ كذلك كان يفعل فيمن صار أسيراً في يده من أهل الحرب ،  
 فيقتل بعضاً ، ويفادي ببعض ، ويعين على بعض ، مثل يوم بدر : قتل عقبة بن أبي معيط ،  
 وقد أتى به أسيراً . وقتل بنى قريظة وقد نزلوا على حكم سعد ، وصاروا في يده مسلماً ، وهو  
 على فدائهم والمنّ عليهم قادر . وفادي بجماعة ، أسارى المشركين الذين أسروا ببدر . ومنّ  
 على ثمامة بن أثال الحنفيّ ، وهو أسير في يده . ولم يزل ذلك ثابتاً من سيره في أهل الحرب ،  
 من لدن أذن الله له بجرهم ، إلى أن قبضه إليه ﷺ دائماً ذلك فيهم . وإنما ذكر جل ثناؤه  
 في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى ، نخص ذكرها فيها ، لأن الأمر بقتلهم والإذن منه  
 بذلك ، قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكرراً ، فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر في  
 هذه الآية من المن والفداء ، ماله فيهم مع القتل . انتهى كلام ابن جرير .  
 الثالث - من فوائد الآية أيضاً جواز تخلية سبيل المشركين ، إذا ضعفت شوكتهم ،  
 وأمنت مفسدتهم ، لأن ذلك من لوازم المن وقبول الفداء . والقول بإبادة خضر أمهم من غير  
 تفصيل ، ينافيه نص هذه الآية ، وقبول النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر وهم  
 مشركون ، ففهم .

(١) انظر الصفحة رقم ٤٢ من الجزء السادس والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

(٢) [ ٩ / التوبة / ٥ ] .

وبالجملة، فالذى عول عليه الأئمة المحققون رضى الله عنهم، أن الأمير يَحْيَى، بعد الظفر تحيير مصالحة لا شهوة في الأسراء المقاتلين، بين قتل واسترقاق، ومنّ وفداء. ويجب عليه اختيار الأصلح للمسلمين، لأنه يتصرف لهم على سبيل النظر، فلم يميز له ترك ما فيه الحظ، كولى اليتيم، لأن كل خصلة من هذه الحصال قد تكون أصلح في بعض الأسرى. فإن منهم من له قوة ونكاية في المسلمين، فقتله أصلح. ومنهم الضعيف ذو المال الكثير، ففداؤه أصلح. ومنهم حسن الرأى في المسلمين، يرجى إسلامه، فالنّ عليه أولى. ومن ينتفع بخدمته، ويؤمن شرّه، استرقاقه أصلح - كما في (شرح الإقناع) - .

الرابع - تُسَنُّ دعوة الكفار إلى الإسلام قبل القتال لمن بلغت الدعوة، قطعاً لحجته. ويحرم القتال قبلها لمن لم تبلغه الدعوة، لحديث<sup>(١)</sup> بَرِيْدَةَ بن الحُصَيْب قال: كان النبي ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش، أمره بتقوى الله تعالى في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين. وقال: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث، فإن هم أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم. فإن هم أبوا فادعهم إعطاء الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم - رواه مسلم - .

وقيد الإمام ابن القّيم وجوب الدعوة واستجباؤها، بما إذا قصد هم المسلمون. أما إذا كان الكفار قاصدين المسلمين بالقتال، فللمسلمين قتالهم من غير دعوة، دفعاً عن نفوسهم وحریمهم وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، لأنه أعرف بحال الناس، وبحال العدو، ونكايتهم وقربهم وبعدهم - كما في (شرح الإقناع) - .

وقوله تعالى « ذَلِكَ » خبر لمحدوف. أى الأمر ذلك. أو مفعول لمقدّر « وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصَرَ مِنْهُمْ » أى: لا نتقم منهم بمقوبة عاجلة، وكفاكم ذلك كله. « وَلَكِنْ لِيَبْلُوْاْ

(١) أخرجه مسلم في: ٣٢ - كتاب الجهاد، حديث رقم ٣ (طبعتنا).

بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ « أى ليختبركم بهم ، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين فينيبهم ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم ، حتى ينيب إلى الحق . « وَالَّذِينَ قُتِلُوا » أى استشهدوا .  
 وقرئ ( قاتلوا ) « فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ » .  
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] ( سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ )

[٦] ( وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ )

« سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ \* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ » أى بينها لهم فى كثير من آياته ، تعريفاً يشوق كل مؤمن أن يسعى لها .  
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧] ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ )

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » أى الظفر والتمكين فى الأرض ، وإرث ديار العدو .  
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨] ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلَهُمْ )

[٩] ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ )

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ » أى خزيًا وشقاء . وأصله من السقوط على الوجه ، كالسكب . « وَأَصْلٌ أَعْمَلَهُمْ » أى جعلها على غير هدى واستقامة . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ » أى من الحق ، وشايعوا ما ألقوه من الباطل . « فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ » كعبادتهم لأوثانهم ، حيث لم تنفعهم ، بل أوبقهم بها فأصلاهم سعيراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٠] (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ،  
دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا )

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ » أى من الأمم المكذبة رسلها ، الرادة نصائحها . « دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » أى ما اختص بهم ، وكان لهم . يقال : دمره بمعنى أهلكه . ودمر عليه : أهلك ما يختص به من المال والنفس . فالثانى أبلغ ، لما فيه من العموم ، لجعل مفعوله نسياً منسياً ، فيتناول نفسه وكل ما يختص به . والإتيان بـ ( على ) لتضمنه معنى ( أطبق عليه ) أى أوقعه عليهم محيطاً بهم ، أو هجم الهلاك عليهم . « وَلِلْكَافِرِينَ » يعنى المكذبين رسول الله ﷺ « أَمْثَلُهَا » أى أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١١] (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)

[١٢] (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)

« ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ » أى لا ناصر لهم يدفع عنهم العذاب ، إذا حاق بهم . « إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ » أى غير مفكرين في المعاد ، ولا معتبرين بسنة الله ، كغفلة الأنعام عن النحر والذبح ، فلا هم لهم إلا الاعتلاف دون غيره . « وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ » أى مأواهم بعد مماتهم .

القول في تاويل قوله تعالى :

[١٣] (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ  
أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ)

[١٤] (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُرِّي لَهُ وَسُوءَ عَمَلِهِ) وَأَتَّبِعُوا  
أَهْوَاءَهُمْ

« وَكَأَيِّن » أى : وكم « مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ »  
يعنى مكة ، على حذف مضاف « أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ \* أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن  
رَّبِّهِ » أى على برهان وحجة وبيان من أمر ربه ، والعلم بوحدانيته ، فهو يعبد على  
بصيرة منه . « كَمَن زُرِّي لَهُ وَسُوءَ عَمَلِهِ » أى فأراه إياه الشيطان حسفاً ، فهو مقيم عليه .  
« وَأَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ » .

القول في تاويل قوله تعالى :

[١٥] (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ  
وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرِّيبِينَ  
وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن  
رَّبِّهِمْ ، كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

« مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ » أى متغير الريح  
« وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرِّيبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن  
عَسَلٍ مُّصَفًّى » أى من القذى ، وما يوجد فى عسل الدنيا « وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ  
وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ »  
أى من فرط حرارته .

لطيفة :

(مَثَلُ الْجَنَّةِ) مبتدأ خبره (كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ) بتقدير حرف إنكار ومضاف . أى :  
أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد . أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد . فلفظ الآية ،  
وإن كان في صورة الإثبات ، هو في معنى الإنكار والنفي ، لانطوائه تحت حكم كلام مصدر  
بجرف الإنكار وانسحاب حكمه عليه ، وهو قوله : (أَفَمَنْ كَانَ ...) الخ ، وليس في اللفظ  
قرينة على هذا ، وإنما هو من السياق ، وإن فيه جزالة المعنى . وثم أعارب آخر ، هذا أمتها .  
القول في تأويل قوله تعالى :

[١٦] (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ  
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)

« وَمِنْهُمْ » أى ومن هؤلاء الكفار « مَّن » أى كافر منافق « يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ »  
إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ « أى من الصحابة ، استهزاء بما سمعوه  
من المتلو ، وتهاونا به « مَاذَا قَالَ آنِفًا » أى الساعة . هل فيه هدى ؟ فإن بينوه لم يستفيدوا  
منه شيئاً . « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ » أى فلا يدخلها الهدى لإبائهم عنه  
« وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ » أى آراءهم ، لا ما يدعو إليه البرهان .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٧] (وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَوَسَّاتَهُمْ تَقْوَاهُمْ)

« وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا » أى باتباع الحق ، والمشى مع الحجة « زَادَهُمْ هُدًىٰ » أى بياناً  
لحقيقة ما جاءهم « وَوَسَّاتَهُمْ تَقْوَاهُمْ » أى أعانهم عليها . أو آناهم جزاء تقواهم . أو بين  
لهم ما يتقون .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٨] ( فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ، فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ، فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ )

« فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا » قال ابن كثير :  
 أي أمارات اقترابها ، كقوله تبارك وتعالى (١) ( هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى \* أَزِفَتْ  
 الْأَزِيفَةُ ) وكقوله جلّت عظمته (٢) ( اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ) وقوله سبحانه  
 وتعالى (٣) ( أَنَّى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ) وقوله جلّ وعلا (٤) ( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ  
 وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) . فبعثه رسول الله ﷺ من أشراط الساعة ، لأنه خاتم الرسل ،  
 الذي أكمل الله تعالى به الدين ، وأقام به الحجّة على العالمين . وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة  
 وأشراطها ، وأبان عن ذلك وأوضحه ، بما لم يؤته نبيّ قبله ، كما هو مبسوط في موضعه .

وقال الحسن البصرى : بعثه محمد ﷺ من أشراط الساعة ، وهو كما قال . ولهذا جاء  
 في أسمائه ﷺ أنه نبيّ التوبة ، ونبيّ اللحمة ، والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه ،  
 والعاقب الذي ليس بعده نبي .

روى البخارى (٥) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ قال  
 بإصبعيه هكذا - بالوسطى والى تليها - : بعثت أنا والساعة كهاتين .

« فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ » أي ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة  
 الله إذاجأتهم الساعة . يعنى : أن ليس ذلك بوقت ينفعهم فيه التذكر والندم ، لأنه وقت مجازاة ،  
 لا وقت استعتاب واستعمال .

(١) [ ٥٣ / النجم / ٥٦ و ٥٧ ] . (٢) [ ٥٤ / القمر / ١ ] .

(٣) [ ١٦ / النحل / ١ ] . (٤) [ ٢١ / الأنبياء / ١ ] .

(٥) أخرجه البخارى في : ٨١ - كتاب الرقاق ، ٣٩ - باب قول النبي ﷺ ( بعثت

القول في تأويل قوله تعالى:

[١٩] (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)

« فَاَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: أى فاعلم يا محمد أنه لا معبود تدبغى أو تصلح له الألوهة ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله الذى هو خالق الخلق ، ومالك كل شيء . يدین له بالربوبية كل ما دونه . والفاء فصيحة في جواب شرط معلوم ، مما مر من أول السورة إلى هنا ، من حال الفريقين .

قال السيوطى : وقد استدل بالآية من قال بوجوب النظر ، وإبطال التقليد في العقائد ، ومن قال بأن أول الواجبات ، المعرفة قبل الإقرار .

« وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : أى وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها ، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء . قال الشهاب : وإنما أعيد الجار ، لأن ذنوبهم جنس آخر غير ذنب النبي ﷺ ، فإن ذنوبهم معاص كباثر وصراف ، وذنبه ترك الأولى .

وقال السيوطى : استدل بالآية من أجاز الصغار على الأنبياء . انتهى .  
والمسألة مبسوطه بأقوالها ، وما لها وما عليها في (الفصل) لابن حزم . فارجع إليه .  
وفي الصحيح<sup>(٣)</sup> أن رسول الله ﷺ كان يقول : اللهم اغفرلى خطيئتي وجهلى ، وإسرافى

(١) انظر الصفحة رقم ٥٣ من الجزء السادس والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

(٢) انظر الصفحة رقم ٥٤ من الجزء السادس والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

(٣) أخرجه البخارى في : ٨٠ - كتاب الدعوات ، ٦٠ - باب قول النبي ﷺ ( اللهم

اغفرلى ما قدمت وما أخرت ) حديث رقم ٢٤٠٤ ، عن أبى موسى الأشعري .

في أمسى ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي هزلي وجدى ، وخطاياي وعمدى ، وكل ذلك عندي .

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> أنه كان يقول في آخر الصلاة : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني . أنت إلهي لا إله إلا أنت . وفي الصحيح<sup>(٢)</sup> أنه قال : يا أيها الناس ! توبوا إلى ربكم ، فإنى أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .

« وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ » أى متصرفكم فيما تتصرفون فيه ، وإقامتكم على ما تقيمون عليه من الأقوال والأعمال ، فيجازيكم عليه .  
القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٠] ( وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا آتَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ )

« وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ » أى تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار . « فَإِذَا آتَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ » أى مبينة لا تقبل نسخاً ولا تأويلاً ، « وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ » أى الأمر بقتال المشركين « رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ » أى : شك في الدين وضعف في اليقين « يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » أى من فرعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء . شبه نظرهم بنظر المحتضر الذى لا يطرف بصره

(١) أخرجه البخارى في : ١٩ - كتاب التهجيد ، ١ - باب التهجد بالليل ، حديث

رقم ٦١٣ ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه البخارى في : ٨٠ - كتاب الدعوات ، ٣ - باب استغفار النبي ﷺ في

اليوم واللييلة ، حديث ٢٣٩٠ ، عن أبى هريرة .

« فَأُولَىٰ لَهُمْ » قال الشهاب : اختلف فيه ، بمد الاتفاق على أن المراد به التهديد والوعيد ، على أقوال :

فذهب الأصمعيّ إلى أنه فعل ماض بمعنى قارب . وقيل : قَرَّبَ بالتشديد ، ففاعله ضمير يرجع لما علم منه ، أي : قارب هلاكهم . والأكثر أنه اسم تفضيل من الولي ، بمعنى القرب . وقال أبو عليّ : إنه اسم تفضيل من الويل . والأصل ( أويل ) فقلب ، فوزنه أفلع . وردّ بأن الويل غير متصرف ، وأن القلب خلاف الأصل ، وفيه نظر . وقد قيل : إنه فعلى ، من آل يؤول . وقال الرضى : إنه علم للوعيد ، وهو مبتدأ و ( لهم ) خبره . وقد سمع فيه ( أولاة ) بقاء تأنيث . وهو كما قيل ، يدل على أنه ليس بأفعل تفضيل ، ولا أفعل فعلى ، وأنه علم وليس بفعل ، بل مثل أرمل وأرملة ، إذا سمى بهما ، فلذا لم ينصرف . ولا اسم فعل ، لأنه سمع فيه ( أولاة ) معرباً مرفوعاً ، ولو كان اسم فعل بنى . وفيه أنه لا مانع من كون ( أولاة ) لفظاً آخر بمعناه ، فلا يرد شيء منه عليهم أصلاً ، كما جاء ( أول ) أفعل تفضيل ، واسم ظرف ك ( قبل ) وسمع فيه ( أولة ) - كما نقله أبو حيان - فلا يرد النقص به كما لا يخفى . انتهى .

قال السمين : إذا قلنا باسميته . ففيه أوجه :

أحدها - أنه مبتدأ ، و ( لهم ) خبره ، تقديره : فإلهلاك لهم .

والثاني - أنه خبر مبتدأ مضمّر ، تقديره : العقاب أو الهلاك أولى لهم ، أى أقرب وأدنى ، ويجوز أن تكون اللام بمعنى الباء . أى أولى وأحقّ بهم .

الثالث - أنه مبتدأ ، و ( لهم ) متعلق به ، واللام بمعنى الباء ، و ( طاعة ) خبره ، والتقدير : فأولى بهم طاعة دون غيرها ، وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى

[٢١] ( طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ )

« طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ » فيه أوجه :

أحدها - أنه خبر (أولى) على ما تقدم .

الثاني - أنها صفة السورة . أى : فإذا أنزلت سورة محكمة طاعة ، أى : ذات طاعة ،

أو مطاعة . ذكره مكّي وأبو البقاء . وفيه بعد ، لكثرة الفواصل .

الثالث - أنها مبتدأ ، و ( قول ) عطف عليها ، والخبر محذوف . تقديره : أمثل بكم من

غيرها . وقدره مكّي : منا طاعة ، فقدّره مقدماً .

الرابع - أن يكون خبر مبتدأ محذوف . أى أمرنا طاعة .

الخامس - أن ( لهم ) خبر مقدم و ( طاعة ) مبتدأ مؤخر . والوقف والابتداء يعرفان مما

قدمته ، فتأمل - أفاده السمين - .

« فَأَيُّ ذَا عَزَمِ الْأَمْرُ » أى : جدّ الحال ، وحضر القتال : قال أبو السعود : أسند العزم ،

وهو الجِدُّ ، إلى الأمر ، وهو لأصحابه ، مجازاً . كما فى قوله (١) تعالى ( إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

الْأُمُورِ ) وعامل الظرف محذوف . أى خالفوا وتخلّفوا . وقيل ناقضوا . وقيل : كرهوا .

وقيل : هو قوله تعالى « فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ » على طريقة قولك : إذا حضرنى طعام ، فلو جئتنى

لأطعمتك . أى : فلو صدقوه تعالى فيما قالوه من الكلام النبىء عن الحرص على الجهاد ،

بالجرى على موجه « لَكَانَ » أى الصدق « خَيْرًا لَهُمْ » أى فى عاجل دنياهم ، وآجل

معادهم . وقيل : فلو صدقوه فى الإيمان ، وواطأت قلوبهم فى ذلك ألسنتهم . وأياً ما كان ،

فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض ، وهم المخاطبون بقوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ )

« فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ » أى عرضتم عن تنزيل الله تعالى ، وفارقتم أحكام كتابه ،

وما جاء به رسوله « أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ » أى بالتغاور والتناهب « وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ »

أى تمودوا لما كنتم عليه فى جاهلييتكم من التشتت والتفرق ، بعد ما جمعكم الله بالإسلام ، وألف به بين قلوبكم ، وأمركم بالإصلاح فى الأرض ، وصلة الأرحام ، وهو الإحسان إلى الأقارب فى المقال والأفعال ، وبذل الأموال . وقد ساق ابن كثير هنا من الأحاديث فى صلة الرحم لباب اللباب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ)

« أُولَٰئِكَ » إشارة إلى المذكورين « الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ » أى عن استماع الحق لتصامتهم عنه بسوء اختيارهم « وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ » أى لتعاميمهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الأنفس والآفاق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٤] (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

« أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ » قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : أى أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواضع الله التى يعظمهم بها فى آى القرآن الذى أنزله على نبيه عليه السلام ، ويتفكرون فى حججه التى بينها لهم فى تنزيله ، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون . « إِنَّمَا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » أى فلا يصل إليها ذكر ، ولا ينكشف لها أمر . وتفكير (القلوب) للإشعار بفرط جهالتها ونكرها ، كأنها مبهمه منكورة . و (الأقفال) مجاز عما يمنع الوصول . وإضافتها إلى القلوب لإفادة الاختصاص المميز لها عما عداها ؛ وللإشارة إلى أنها لا تشبه الأقفال المعروفة ، إذ لا يمكن فتحها أبداً .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٧ من الجزء السادس والعشرين ( طبعة الحلبي الثانية ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنَّ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ  
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ)

«إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ» أى عادوا لما كانوا عليه من الكفر «مِنَّ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ» أى الحق بواضح الحجة .  
«الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ» أى زين لهم ارتدادهم وحملهم عليه «وَأَمَلَىٰ لَهُمْ» أى ومد لهم فى الآمال والأمانى ، أو أمهلهم الله تعالى ، فد فى آجالهم ، ولم يعاجلهم بالعقوبة . والمعنى : الشيطان سول لهم ، والله أملى لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٦] (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ)

«ذَٰلِكَ» إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم ، «بِأَنَّهُمْ قَالُوا» أى بسبب أنهم «قَالُوا» أى المنافقون «لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ» أى لليهود الكافرين لنزول القرآن على رسول الله ﷺ «سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ» أى بعض أموركم ، أو ما تأمرون به كالتعود عن الجهاد ، والتظاهر على الرسول ، أو الخروج معهم إن أخرجوا ، كما أوضح ذلك قوله تعالى (١)  
(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكُتَيْبِ لَيْنٌ أخرجتم لتخرجن معكم ولا تطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لتنصرنكم) وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم .

«وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ» أى : إخفاءهم لما يقولونه لليهود .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٧] ( فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ )

[٢٨] ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ )

« فَكَيْفَ » أى : يفعلون ويدفعون ضرر الردة عليهم « إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ » أى : التى ولوها عن الله إلى أعدائه « وَأَدْبَارَهُمْ » أى التى ولوها عن الأعداء إلى الله .

« ذَلِكَ » أى التوفى المائل « بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ » أى من إطاعة أعدائه ، « وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ » أى فى معاداتهم ، فأدى بهم إلى الردة « فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ » أى التى كانت تفيدهم النجاة من ذلك الضرب ، ومن الفضاخ الدينيوية .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٩] ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ )

« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أى نفاق تفرع منه أضغان على رسول الله ﷺ والمؤمنين « أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ » أى أحقادهم لرسوله والمؤمنين ، فتبقى أمورهم مستورة . والمعنى : أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٠] ( وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيِّئِهِمْ ، وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ،

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ )

[٣١] ( وَلَنَبِّئُوَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّئُوا

أَخْبَارَكُمْ )

« وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ » أى لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية

« فَلَمَّ رَفَعْتَهُمْ بِسْمِهِمْ » أى بعلامتهم التى نسمهم بها « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ »  
أى أسلوبه وما يرومون من غير إيضاح به .

قال فى ( الإكليل ) : استدلل بالآية من جعل التعريض بالقذف موجبا للحد .

« وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ » أى فيجازيكم بحسب قصدكم .

« وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ » أى أهل المجاهدة  
فى سبيل الله ، والصبر على المشاق « وَنَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ » أى أفانين أقوالكم ، وضروب  
بياناتكم ، وأعمال قوة ألسنتكم فى نشر الحق والصدع به والدأب عليه ، هل هو متمحض  
لذلك ، أم فيه ما فيه من المحاباة خيفة لوم اللائم .

قال القاشانى : علمُ الله تعالى قسمان : سابقٌ على معلوماته إجمالاً فى لوح القضاء ،  
وتفصيلاً فى لوح القدر ، وتابع إياها فى المظاهر التفصيلية من النفوس البشرية ، والنفوس  
السماوية الجزئية . فعنى ( حَتَّىٰ نَعْلَمَ ) حتى يظهر علمنا التفصيلي فى المظاهر الملكوتية  
والإنسية ، التى يثبت بها الجزاء - والله أعلم - .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٢] (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ  
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ )

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ  
لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ » أى فتذهب سدى ، لا تنمر  
لهم نفعاً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٣] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ )

[٣٤] (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ \*  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ »  
أى لكن يعذبهم وبما قبحهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٥] (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ)

« فَلَا تَهِنُوا » أى فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد الذين اعتدوا عليكم، وصدوا  
عن سبيل الله ، « وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ » أى الصلح والمسالمة « وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » أى  
الأغلبون ، فإن كسح الضلال من طريق الحق لامتدح عنه ، ماتيسرت أسبابه ، وقهرت  
أربابه « وَاللَّهُ مَعَكُمْ » أى بنصره ماتمسكتم بحبله « وَلَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ » أى لن  
ينقصكم ثوابها ويضيعها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٦] (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ  
وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ)

« إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ » أى فلا تدعكم الرغبة فى الحياة إلى ترك الجهاد « وَإِنْ  
تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ » أى ثواب إيمانكم وتقواكم « وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ »  
أى لأنه غنى عنكم ، وإنما يريد منكم التوحيد ، ونبذ الأوثان ، والطاعة لما أمر به ،  
ونهى عنه .

قال بعض المفسرين : أى لا يسألكم جميع أموالكم ، بل يقتصر منكم على جزء يسير ، كربع العشر وعشره . إشارة إلى إفادة الجمع المضاف للمعوم ، وهو معطوف على الجزاء . والمعنى : إن تؤمنوا لا يسألكم الجميع ، أى : لا يأخذه منكم ، كما يأخذ من الكفار جميع أموالهم . ولا يخفى حسن مقابله لقوله ( يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ ) أى يعطىكم كل الأجور ، ويسألكم بعض المال - هذا ما قاله الشهاب - .

والظاهر أن المراد بيان غناه تعالى عن عباده ، وأن طلب إتيان الأموال منهم ، لعود نفعه إليهم لا إليه ، لاستغنائه المطلق ، فإن فى الصدقات دفع أحقاد صدور الفقراء عنهم ، وفى بذله للجهاد دفع غائلة الشرور والفساد ، وكله مما يعود ثمرته عليهم .

ثم أشار تعالى إلى حكمته ورحمته فى عدم سؤاله إتيان أموالهم كلها ، بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٧] ( إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ )

« إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا » أى فيجهدكم بالمسألة ، ويبلغ عليكم بطلبها منكم ، تبخلوا بها وتمنوها ، ضناً منكم بها ، وإنه علم ذلك منكم ، ومن ضيق أنفسكم ، فلم يسألكموها .

قال الزمخشري : الإحشاء المبالغة ، وبلوغ الغاية فى كل شيء . يقال ( أحفاه فى المسألة ) إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح . و ( أحفى شاربه ) إذا استأصله .

« وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ » أى أحقادكم ، وكراحتكم لدين يذهب بأموالكم . وضمير ( يخرج ) لله تعالى ، ويعضده القراءة بنون العظمة . أو للبخل لأنه سبب الأضغان . وقرئ ( يخرج ) من الخروج ، بالياء والتاء ، مسنداً إلى الأضغان .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٨] (هَآءَاتُمْ هَآؤَلَا ءُتَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ،  
وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ، وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ،  
وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ )

« هَآءَاتُمْ هَآؤَلَا ءُتَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » أى فى جهاد أعدائه، ونصرة دينه « فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ » أى بالنفقة فيه . « وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ » أى يسكه عنها ، لأنه يجرمها الأجر ، ويكسبها الوزر « وَاللَّهُ الْغَنِيُّ » أى : عن كل ما سواه ، وكل شىء فقير إليه . ولهذا قال سبحانه « وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ » أى بالذات إليه . فوصفه بالغنى وصف لازم له ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم ، لا ينفكون عنه ، أى وإذا كان كذلك ، فإنما حضكم فى النفقة فى سبيله ليكسبكم بذلك ، الجزيل من ثوابه . وليعلم أن سبيل الله يشمل كل ما فيه نفع وخير، وفائدة وقربة ومشوبة. وإنما اقتصر المفسرون على الجهاد لأنه فردة الأشهر ، وجزئية الأهم ، وقت نزول الآيات ، وإلا فلا ينحصر فيه . « وَإِن تَتَوَلَّوْا » أى عما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم « يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ » أى يهلككم ثم يأتى بقوم آخرين غيركم ، بدلاً منكم ، يؤمنون به ، ويمعلون بشرائعه . « ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ » أى لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة فى سبيل الله ، ولا يضيعون شيئاً من حدود دينهم ، ولكنهم يقومون بذلك كله ، على ما يؤمرون به .